



195- ثلاث شخصيات

خطب الجمعة

2025-09-05

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذريته سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

أي إنسان له شخصيات ثلاث:

وبعد أيها الإخوة الكرام: فإنَّ الإنسان، أي إنسان له شخصيات ثلاث، شخصية يكونها، وشخصية يكره أن يكونها، وشخصية يرجو أن يكونها.

الشخصية التي يكونها:

أما الشخصية التي يكونها فهي أنا وأنت، على ما فينا من إيجابيات وسلبيات، من خير وشر، من قوة وضعف، وكلُّ منا يعرف شخصيته ويجب أن يُراجع ويُحاسب نفسه دائماً، فإذا سألتك مثلاً: مَنْ أنت؟ ما الشخصية التي أنت عليها؟ ماذا تُحب في شخصيتك؟ لعلَّ قائلًا يقول لي: أحب أنني لا تفوتني صلاة الفجر في جماعة، أحب أنني لا أكذب ولا أغش الناس، فإذا سألتها وما السلبيات؟ ربما قال لي في شخصيتي سلبية أنني شديد الغضب، أستعزُّ وأستأثر بسرعة، ثم أندم على ما كان مِنِّي، هذه الشخصية هي أنت وأنا بما نحن عليه، من إيجابيات يجب أن نُنمِّيها ونُعَوِّبها، وسلبيات علينا أن نسعى لتجاوزها، وهذه ما تُسمَّى المُراجعات، أن يُراجع الإنسان نفسه دائماً، فيُنمِّي جوانب الخير ويتلافى مواضع القصور في شخصيته.

الشخصية التي يكره الإنسان أن يكونها:

وأما الشخصية التي يكره الإنسان أن يكونها، فلكل شخصية يكره أن يكونها، فلو سألتك الآن أو قلت لك اسم هذا التين الذي يعيثُ في أرض فلسطين فساداً، لاستفزَّت مشاعرك وقلت لي: دعني من هذا الاسم، فإنا أكره هذه الشخصية، التي تريد أن تبني أمجادها على أنقاض أهل غرَّة.

ولو ذكرت لك شخصية من الشخصيات المُجرمة في النظام البائد، لقلت لي: إنني أكره هذا الشخص، أكره نمطه في الحياة، أكره إجرامه وبطشه، أكره مصلحته، أكره ما فعله، هذه شخصية نكره، إن نكونها، تقول لي: أكره المُنافق الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجه، أكره الخائن، أكره الكاذب، ولربما يأتي غيرك ممن ليسوا من رواد المساجد فيقول عن منافقي ثبَّت نفاقه، أحبه، أحب لبقائه، أحب قدرته، دبلوماسيته، فالذي تكرهه أنت قد يُحبُّه غيرك، هذه طبيعة النفس.

الشخصية التي نرجو أن نكونها:

أما الشخصية التي نرجو أن نكونها، فهي الأسرة وهي القدوة، فلكل منا طموحه، فهو يريد أن يكون شخصيةً ما، يسعى للوصول إليها، ربما يترنم بذكرها، ربما يصف ما بها مما يحده خيراً، ربما يسعى جهده ويُرثي أولاده ليكونوا مثلاً، هذه الشخصية التي نرجو أن نكونها، يُعبر عنها بالقتل الأعلى، بالقدوة، بالطموح، وعبر عنها القرآن الكريم بالأسوة، أن يتأشَّى الإنسان برجلٍ ما، أن تتأشَّى المرأةً بصحابيٍّ ما، هذه هي الأسرة.

ثورة التواصل الاجتماعي اليوم أنتجت أسوات وقدوات لأجبالنا لا تمتد لدينا بصيلة:

واليوم أيتها الكرام: مع ثورة التواصل الاجتماعي، الذي يُسمّى زوراً تواصلاً، وهو في الحقيقة تقاطع، مع هذه الثورة أنتجت أسوات وقدوات لأجبالنا وأبنائنا، لا تمتد لدينا بصيلة، بل لا تمتد إلى القيم بصيلة، بل لا تمتد إلى العلم والمعرفة بصيلة، فاليوم قد تسأل شاباً صغيراً، ما حلمك أن تكون في المستقبل؟ يقول لك: كالرياضي لاعب الرياضة فلان، وفلان ما الذي صنعه؟ أدخل في تاريخه الكروي منه هدف، أو أكثر أو أقل، فيتأسى به ويتحرك بحركاته، ويلبس ثياباً يضع صورته عليها، يتأسى به، فلكل إنسان شخصية يرجو أن يكونها، ولا أبالغ إن قلت: قل لي ما الشخصية التي ترجو أن تكونها؟ أقل لك من أنت، فانت شخصيتك التي تريد أن تكونها هي في الحقيقة أنت، لأنك تسعى إليها، لعلك لا تبلغها، لكن سعيك لها جعلك وإياها شيئاً واحداً.

مرة أيتها الكرام كنت في هذا المسجد، وجاء رجلٌ من الأثرياء بابنه الصغير، قال لي: هذا الطفل أريد أن أعلّمه اللغة العربية، لأنه في مدرسةٍ أجنبية لا يُعلّمونه العربية، آثر والده أن يضعه في مدرسةٍ أجنبية تُعطيهِ اللغة الإنكليزية بطلاقة، لكنه لم يُعلّمه اللغة ولا القرآن.

جلس الطفل فأحببت أن أتقرب إليه ليحبّ المسجد وأهل المسجد، قلت له: ما اسمك؟ قال لي: اسمي أُمّ، قلت له: عُمر في اللغة العربية عندنا حرف اسمه العين، نقول: عُمر، قال: أُمّ، حاولت أن يلفظ العين فما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقلت دعه وشأنه، قلت له: أندري لماذا سَمَّاهُ والدك عُمر؟ كم يُحبّك والدك سَمَّاهُ هذا الاسم العظيم، أندري مَن عُمر؟ قال لي: نعم أدري، قلت له: تفضّل، فذكر لي اسم فنانٍ من الفنانين لا أريد أن أعكر المنبر بذكر اسمه، اسمه الأول عُمر، فالشخصية التي يريد الإنسان أن يكونها تنبي شخصيته هو.

أيّها الإخوة الكرام يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)

(سورة الأحزاب)

من الذي يكون له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؟

من الذي يكون له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؟ ذلك الذي يُحبّ الله تعالى، ويرجو الله، ويرجو لقاء الله، ويرجو اليوم الآخر، أمّا الذين يرجون الدنيا، ويرجون لقاء ملوك الدنيا وأهل الدنيا، فلن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة لهم، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصل إلى الله، يوصل إلى الجنة، أمّا من يعيش الدنيا فحسب، فلن يكون له في رسول الله أسوة حسنة.

انظروا إلى التعبير القرآني العظيم، قال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) فمن يداوم على الصلة بالله، يُحبّ الله، يرجو لقاء الله، يرجو جنة الله، لن يُسعده ولن يطمح إلا أن يكون قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حتى تتحقّق الأسوة برسول الله هناك أمران مهمان:

أيّها الإخوة الكرام: وحتى تتحقّق الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم، كان هناك أمران مهمان:

الأول أنه بشّر: فلو كان ملكاً صلى الله عليه وسلم من ملائكة السماء، لما استطعنا أن نقفدي به، ولقال قائل: كيف أتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هو ملكٌ لا يغضب، لا يشتهي، لا يُحبّ النساء، لا يُحبّ المال، أمّا نحن بشّر، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا (110)

(سورة الكهف)

يقول صلى الله عليه وسلم:

{ يَا أُمَّهَ سَلِيمٍ! أَمَا تَعْلَمِينَ إِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَعْصِبُ كَمَا يَعْصِبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا

أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَقْبَى دَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بَاهِلٌ أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهَوْرًا، وَزَكَاةً وَفُرْبَةً تُقَرَّرُ بِهَا مِنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }

(أخرجه مسلم)

لأنه بشّر وانتصر على بشريته كان سيد البشر، فصَحَّ الافتداء به، هذا الأمر الأول في التأسى به.

الأمر الثاني وهو مهم جداً: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف معظم البشر، مرَّ عليه في حياته من صنوف الابتلاءات ما لم يمرَّ على بشرٍ حتى إذا كنت في أي موقفٍ، وجدت لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوَّةً حسنة، قل لي: أنا غنيٌّ عندي مال، أقول لك: لك في رسول الله أسوَّةٌ حسنة، فقد كان غنياً صلى الله عليه وسلم، قل لي: أنا فقير، أقول لك: لك في رسول الله أسوَّةٌ حسنة فقد مرَّ بمرحلةٍ فيها فقرٌ صلى الله عليه وسلم، قل لي: أنا قوي، أنا ضعيف، ستجد في سيرة رسول الله أسوَّةً حسنة، وقد سمَّيْتُ هذا الأمر مجازاً "الإعجاز في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، لن تجد بشراً في ثلاث وستين سنة في حياته الكاملة، وفي ثلاث وعشرين سنة بعد البعثة، وهي المُخصَّصة تحديداً للناسي به، لن تجد بشراً مرَّ عليه من صنوف المواقف الحياتية، كما مرَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجد لك أسوَّةً في كل شيءٍ يمرُّ بك.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوَّةٌ لنا في الغنى والفقر:

أيُّها الإخوة الكرام: النبي صلى الله عليه وسلم ذاق مرارة الفقر، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ لقد أُجِفْتُ في الله وما يُخَافُ أحدٌ، ولقد أُوذِيتُ في الله وما يُؤْذِي أحدٌ، ولقد أتت عليَّ ثلاثونَ من بين يومٍ وليلةٍ وما لي ولبلالٍ طعامٌ يأكلُهُ ذو كبدٍ إلَّا شيءٌ يواريه إبطُ بلالٍ }

(أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه)

رضي الله عن بلال، هنيئاً لك يا بلال، أن يذكرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه أنه عانى الجوع معه، وبعد ذلك لا يأس عليه، فإذا كان يُعاني الجوع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أحلى الجوع (ولقد أتت عليَّ ثلاثونَ من بين يومٍ وليلةٍ وما لي ولبلالٍ طعامٌ يأكلُهُ ذو كبدٍ إلَّا شيءٌ يواريه إبطُ بلالٍ) كسرة خبز يضعها بلال تحت إبطه، يأكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل مرَّ أحدٌ بموقفٍ كموقف رسول الله في الفقر؟ لك فيه أسوَّةٌ حسنة.

وبالمناسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذ من الفقر، ولم يعيش حياته كلها فقيراً كما يقول البعض، ولا دعا إلى الفقر، لكن لو أنَّه اضطرَّ أن لا يجد شيئاً فلنا فيه أسوَّةٌ حسنة، ثم فتح الله الفتوحات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءه من المال ما جاءه، فكيف يتأسى الأغنياء به؟

{ ما سُئِلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على الإسلامِ شيئاً إلَّا أعطاهُ، قال: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلُمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ }

(صحيح مسلم)

(الفاقَة) أي الفقر، فالغني له في رسول الله أسوَّةٌ حسنة.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوَّةٌ لنا في الضعف:

في الضعف، في الطائف، يقول صلى الله عليه وسلم بعد أن ذهب إلى الطائف، ودعا أهلها إلى الإسلام، فما كان منهم إلا أن أغروا به صبيانهم وسُفهاءهم، فرموه بالحجارة حتى دُميت قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم، يقول واصفاً حاله:

{ يا رسولَ اللهِ، هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَتَمَلَّقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِعَرْنِ النَّعَالِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَطْلَلَنِي فَتَطَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَتَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكُ الْجَبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَتَادَانِي مَلَكُ الْجَبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجَبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رُبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْسَبَيْنِ، فَقَالَ لهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُعِذُّ اللَّهَ وَخُدَّةَ لَا يُشِيرُكَ بِهِ شَيْئًا. }

(صحيح مسلم)

كم هو عزيزُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربِّه؟! يُرسِل له الْمَلَكُ لِأَمْرِهِ بِمَا يَشَاءُ لِيُبْقِذَ، قَالَ: **(إِنْ يَشِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأُخْسَيْنِ)** الأخشيان جيلان، وتنتهي الطائفتان إلى غير رجعة، مكنه الله وهو في قمة ضعفه من الانتقام منهم، وأمر الله وبواسطة ملك الجبال، مكنه الله منهم، فماذا قال صلى الله عليه وسلم؟ قال: **(يَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَغْنُذُ اللَّهَ وَخَدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)** وهذا ما كان، فإذا ذهبت إلى الطائفتين اليوم سمعت الأذان، والتقيت بالمسلمين المُصلِّين، الصائمين، العابدين لله تعالى، يوجدونه ولا يشركون به شيئاً، مكنه من الانتقام وهو في ضعفه فكان هذا موقفه، فكل ضعيفٍ له في رسول الله أسوةٌ حسنة، لا تقل أوديت، مَنْ أنت أمام رسول الله؟ قد أودى رسول الله أكثر منك **(ولقد أوديت في الله وما يؤدى أحد)**.

وفي الضعف أيضاً في معركة أُحد، كُسرت رُباعيته صلى الله عليه وسلم، أي أسنانه، وُجرح وجهه، وهُشمت بيضته أي الخوذة التي يضعها على رأسه، ثم يقول بعد ذلك:

{ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْكِي نَيْبًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسُخُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: **اللَّهُمَّ اغْفِرْ**

لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

قومه ما تخلى عنهم، ما قال اللهم اغفر لهؤلاء، بل قال: لقومي **(اغفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)** اعتذر عنهم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةٌ لنا في القوة:

أما في القوة: فيوم فتح مكةً رجع إلى مكة التي أخرجته، وأذته، ونكلت بأصحابه، ولم تترك شأنًا من الشؤون التي تنال منه إلا وفعلته، رجع إليها بعزة المُنتصر، الفاتح، فكيف دخل صلى الله عليه وسلم وهو في قمة القوة؟ دخل مُطاطئ الرأس، حتى إنَّ لحيته مسَّت وسط رحله من شدة تواضعه لله تعالى، ثم جعل يقول:

{ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ. }

(أخرجه أبو داود والبيهقي)

هذا في ضعفه وذاك في قوته، فيتأسى به الضعيف، ويتأسى به القوي.

ذاقَ فَقْدُ الْوَلَدِ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، فَمَنْ فَقَدَ حَبِيبًا، أَوْ قَرِيبًا، أَوْ وَلَدًا، أَوْ شَيْئًا يُحِبُّهُ، فَلَهُ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ.

{ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ طَيْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَسَمَّاهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ بِجُودٍ تَبْعِيهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَرِقَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ

الرَّحْمَنِ بُنْ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنِّي رَحِمْتُ، ثُمَّ اتَّبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَيْنَ

تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

شاء الله تعالى أن تنكشف الشمس عند وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم في حزنه والناس يقولون: إنما كُست الشمس لموت إبراهيم، فماذا فعل صلى الله عليه وسلم؟ ارتقى المنبر وهو في حزنه وقال:

{ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ ذَلِكَ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ }

(صحيح البخاري)

يوم الأحد القادم هناك خسوفٌ كُلُّهُ للقمر في بلدنا، وهذه سُنةٌ عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، أن نُصَلِّي، ونُستفتح المساجد لهذا الأمر إن شاء الله، صلاة الخسوف، وأن ندعو الله، وأن نتأمل هذه الآية العظيمة بدل الخزعيلات، أنَّ الشمس انخسفت لموت شخصٍ أو لحياة شخص، بآبي هو وأمي لم يستغل الفرصة، حاشاه أن يستغلها فيقول للناس: انظروا ها هي الشمس قد كُست لموت ابني، فاعلموا مقامي واعلموا قدري، لا، معاذ الله أن يفعلها حاشاه.

اليوم هناك دُعاةٌ يتصدّرون المجالس، يُمضي نصف ساعة، درس كامل يروي للناس خوارقه، وكيف طار، وكيف مشى على الماء، وكيف نزل، نحن لا تُنكر الكرامات، ولكن كأن الدين قد أصبح عبارة عن حركاتٍ بهلوانية، يريد أن يجذب الناس إلى الدرس، وإلى عظمة الشيخ من خلال خوارق العادات، النبي صلى الله عليه وسلم يُصَحِّح اليوصلة بآبي هو وأمي، ينهض ويقول: **(لَا تَحْسِبَانِ لِمَوْبٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَتَايَةٍ)** هذه آيةٌ كونية، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى يكشف الله ما بكم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةٌ للإنسان الذي مُسَّ في سمعته:

تكلم الناس في عرض زوجته، هل جرَّبها أحد؟ أبعد الله عنكم وعنَّا كل مكروهٍ، أصعب شيء السمعة، الزوج يسمع كلام الناس في المدينة، يتحدثون عن عرض أُمنا الطاهرة المُبرأة عائشة رضي الله عنها، ولعن كل من يُغصَّها، يسمع الكلام وهو يدخل مهموماً إلى البيت، فماذا فعل؟ هل هاجم زوجته؟ ما الذي فعله صلى الله عليه وسلم؟ بقي ينتظر الحقيقة، ثم يدخل على زوجته واسمعوا إلى هذا الكلام يقول:

{ إِنْ كُنْتُ بَرِيئَةً فَسَيِّئْتُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتُ أَلَمَمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَعْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، قُلْتُ: إِنَّي وَاللَّهِ لَا أَجِدُ مَثَلًا، إِلَّا أَبَا يُوسُفَ

{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ }، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ } العَشْرُ الْآيَاتِ. {

(صحيح البخاري)

انظر إلى لطف العبارة: **(وَإِنْ كُنْتُ أَلَمَمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَعْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ)** ثم أنزل الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)

(سورة النور)

ذاقَ هذا الأمر العظيم فوقف منه الموقف الأكمل، فإذا مُسَّ الإنسان في سمعته أو عرضه، أسأل الله أن يصرف عنَّا كل ذلك، فله في رسول الله أُسوةٌ حسنة.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةٌ لأهل غزّة:

الحصار: جوصير أشد من السجن، ثلاث سنوات حصار، حاصرت قريشُ النبي صلى الله عليه وسلم، ومنعت عنهم الطعام والشراب وكل ما يحتاجونه، وعظُم الأمر واشتدَّ حتى أكلوا ورق الشجر، وكان صباح الصبيان يُسَمِّع من وراء الشَّعْب، حتى قام رجلٌ يُدعى زهير بن أمية المخزومي، فجمع بعض الناس ووقف وقال: **"يا أهل مكة، أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يُباع ولا يُبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشَق هذه الصحيفة الطالمة"**.

هل من يقوم اليوم ممن بيدهم الأمر ليقول: أناكل الطعام ونلبس الثياب وأهل غزّة مُحاصرون، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يبيعون ولا يُبتاعون منهم، والله لا نقعد حتى نفتح لهم ونوصل لهم الطعام والشراب!! هذا جاهليٌّ مُشْرِك، زهير بن أمية المخزومي مُشْرِك فهل من المسلمين اليوم من يفعلها؟! ممن يملكون القرار، ممن يستطيعون أن يفعلوا، والله سيقفون جميعاً بين يدي الله تعالى، كل من كان قادراً وبترك صباح الصبية يخرج، لا من خلف الشعب ولكن من خلف الشاشات، ولا يفعل شيئاً، بل يتأمرّون وينتظرون هلاك هؤلاء المقاومين وحالهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ (82)

(سورة الأعراف)

لأهل غزّة في رسول الله أُسوةٌ حسنة.

عاش النبي صلى الله عليه وسلم حلاوة الأصحاب الكرام، فأُسِّرَ إلى أبي بكر يوماً يقول له:

{ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فقال له: لا

تعجل لعلَّ الله يجعل لك صاحباً، فلما أذن الله عز وجل لنبيه بالهجرة قدم على أبي بكر يخبره بالأمر فقال له أبو بكر: الضحبة
يا رسول الله، فقال له: الضحبة، تقول سيدتنا عائشة رضي الله عنها: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً
يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ {

(رواه البخاري)

كلما مرَّ بك موقفٌ تذكَّر أنَّ لك في رسول الله أسوةً حسنة:

ذاق حلاوة الصحب فكان خير صاحب، ذاق حلاوة الزوجة الصالحة المؤمنة فكان خير وفيٍّ لها:

{ كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا ذبحَ الشَّاةَ يقولُ: اذهبوا بذي إلى أصدقاءٍ حديجةٍ، قالت: فأغضبتهُ يوماً، فقال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

إني رزقتُ حُبَّها {

(أخرجه مسلم وابن حبان)

{ عن عائشة رضي الله عنها، كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا ذكَّرَ حديجةَ أنَّتِي عليها، فأحسنَ الثناءَ، قالت: ففِرْتُ يوماً، فقلتُ: ما أكثرَ ما

تذكُّرُها حمراءَ الشَّدْقِ، قد أبدلكَ اللهُ عزَّ وجلَّ بها خيراً منها، قال: ما أبدلني اللهُ عزَّ وجلَّ خيراً منها، قد آمنتُ بي إذ كفرَ بي

الناسُ، وصدَّقْتَنِي إذ كذَّبَنِي الناسُ، وواسَّيْنِي بماليها إذ حرَمَنِي الناسُ، ورزَّقَنِي اللهُ عزَّ وجلَّ ولَدَها إذ حرَمَنِي أولادَ النَّساءِ {

(أخرجه البخاري)

وعاش عداوة الكافرين والمنافقين الذين لم يتركوا طريقاً للتبيل منه إلا فعلوه، عاش الحرب والويلم، الأمن والخوف، السلامة والأذى، عاش حُبُّ المحبين وُبُغضُ المبغضين، عاش
الغنى والفقر، الابتلاء والتمكين، القوة والضعف، حياة الزوجة وفقْدُ الزوجة، الأولاد وفقدهم، غيرة الزوجات ووفاء الزوجات، أبى هو وأمي، عاش في حياته المواقف كلها، فكلما مرَّ
بك موقفٌ، تذكَّر أنَّ لك في رسول الله أسوةً حسنة، فإن كنت في خير، وجدت في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تُكافئ هذا الخير، وإن كنت في غير ذلك، وجدت
في سُنَّة رسول الله وسيرته، كيف تصبر على هذا الأمر وكيف تتعامل معه.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أفعالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَك الموت قد تخطَّنا إلى غيرنا وسيختطُّ غيرنا إلينا فلتتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه
وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من اتَّبَعَ نفسه هواها وتمتَّ على الله الأماني، واستغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك
على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا اللهم شرَّ ما أهُمنا وأغُمَّنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُنَّة توقُّنا، نلُفَّاك وأنت راضٍ عَنَّا، لا إله إلا أنت سبحانك إنَّا كُنا من الظالمين، وأنت أرحم
الراحمين.

وارزقنا اللهم حُسْنَ الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلُفَّاك وأنت راضٍ عَنَّا، أنت حسبنا عليك اتكالنا.

يا ربِّي قد عمَّ الفساد فنَجِّنا، قلَّتْ حيلةُ فتولَّنا، ارفعْ مقنَّك وعَصْبك عَنَّا، لا تُعاملنا بما فعل السفهاء مِثًّا.

اللهم أهلكنا في عِزَّة، كُنْ لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم ألعِمْ جانعهم، واكسُ غريبانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتَقَبَّلاً يا أرحم الراحمين، واغفر لنا تقصيرنا معهم فإنك أعلم بحالنا.

اللهم مُجْري السحاب، مُنْزِل الكتاب، هازِم الأحزاب، سريع الحساب، اهزم الصَّهابة المُعتدين ومَن والاهم ومَن أَيْدَهم ومَن وقف معهم في سِرٍّ أو علن.

اللهم يا أكرم الأكرمين كُنْ لأهل عِزَّة عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً، أنزِلْ عليهم من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء.

اللهم أنت أعلم بحالهم وبحالنا، فكنْ لنا ولهم يا أرحم الراحمين.

اللهم انصُرنا على أنفسنا وعلى شهواتنا، حتى نتنصر لك فنستحق نصراً على أعدائنا.

اللهم اجعل هذه البلاد أماناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ووَقِّقِ القائمين عليها للعمل بكتابك وبسُنَّة نبيِّك صلى الله عليه وسلم، وأبرِمْ لهذه الأمة أمرٌ رشيدٌ، يُعز فيه أهل طاعتك
ويُهْدى فيه أهل عصيانك، ويؤمَّر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، أقول ما تسمعون واستغفر الله، والحمد لله ربِّ العالمين.